

دور ومكانة المنهج الأركيولوجي - الجينيولوجي في فلسفة ميشال فوكو النقدية.

The role and the place of archaeological-genealogical method in Michel Foucault's critical philosophy .

عمروش حكيم¹

¹ جامعة الجزائر 2 (الجزائر) hakimamrouch@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2024/03/10 تاريخ القبول: 2024/04/21 تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص:

يعالج هذا المقال خصوصيات ومكانة المنهج الأركيولوجي- الجينيولوجي في فلسفة ميشال فوكو النقدية ومدى أهميته في مجال التحليل الفلسفي، وبالأخص في عملية تأويل وتفسير الخطابات من الناحية الاستيمولوجية. فالأركيولوجيا حسب فوكو، لا تبحث في تعريف الأفكار، والتمثلات والصور والهواجس المخفية أو تتجلى في الخطابات، بل تبحث في تلك الخطابات ذاتها بوصفها ممارسات خطابية تخضع لقوانين، بمعنى أن المنهج الأركيولوجي- الجينيولوجي، يكشف ويلتقط الخطاب كممارسة وسلطة. ولا يمكننا الحديث كذلك عن اللحظة الجينيولوجية للمنهج الأركيولوجي الفوكوي دون الإشارة إلى تأثير جينيولوجيا نيتشه في فكر فوكو. وعليه لا تستهدف أركيولوجيا فوكو حسب تعبير "أنجيلا كريمر مريتي" العلم بقدر ما ما تستهدف المعرفة في علاقتها بالعلوم. إن هدف المنهج الأركيولوجي والجينيولوجي، يسمح لنا بإزالة الغموض والتعرف على الوجه الخفي للمجتمع، مما يعني العودة إلى أرشيفات وإستيميات كل مجتمع، وهذه العودة إلى الأرشيف هي بمثابة عودة إلى المصادر والأصول.

كلمات مفتاحية: منهج، أركيولوجيا، جينيولوجيا، خطاب، إستيمية، الأرشيف.

Abstract:

In this article, we have discussed Michel Foucault's archaeological and genealogical method, as well as its importance in the field of philosophical analysis and especially the operation of deciphering discourses at the epistemological level. Archaeology, according to Foucault, "does not seek to define the thoughts, representations, images, themes, hauntings that are hidden or manifested in discourses; But these discourses themselves, as rule-abiding discursive practices," that is, the archaeological and genealogical method, detects and captures discourse as practice and power. It is also impossible to mention the genealogical moment of the Foucauldian archaeological method without mentioning Michel Foucault's mastermind, who is F. Nietzsche with his genealogy of morality. Foucault's archaeology, as Angèle Krimer Marietti reminds us, "is less about science than about knowledge in its relationship with the sciences." In fact, the archaeological-genealogical method allows us to dust off and remove the true hidden face of society, that is to say, the return to the archives and epistemes of each society, and this return to the archives is a return to the sources and origins.

Keywords: Method; archaeology; genealogy ; discourse; episteme ;archives.

*المؤلف المرسل: عمروش حكيم.

1. مقدمة

يعتبر منهج ميشال فوكو (1926-1984) Michel Foucault الفلسفي في التحليل والتأويل بمثابة ذلك التعبير الجديد عن الخرائطية في التفسير والفهم لتاريخ المجتمعات وتحليل الممارسات الخطابية وطبيعة علاقتها بالمعرفة وسلطة

دور ومكانة المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي في فلسفة ميشال فوكو النقدية.

المعرفة، ويرتكز هذا المنهج الجديد في الأساس على دعامتين جوهريتين، تتقدمهما اللغة الحفرية الممثلة في الأركيولوجيا و تتبعها الجينيولوجيا النيتشواوية. و يتجلى هدف المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي لدى فوكو في الكشف عن الأوجه الخفية للمجتمع الغربي و إبراز حقيقة الحداثة الغربية، كما يكشف كذلك عن التقنيات والإستراتيجيات الممكنة التي تساهم في تشكل و تكوين نظام الأفكار وحركية تعاقبها التاريخية ووظائفها المحورية التي تمتنها في المجتمع. و عليه فالاشكالية التي تطرح: فيما تتمثل خصوصيات المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي لدى ميشال فوكو؟ وما هي طبيعة العلاقة الموجودة بين الأركيولوجيا والجينيولوجيا حسب فوكو؟ وفيما يكمن دور ومكانة المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي في فلسفته النقدية؟

ولمعالجة هذه الاشكالية استندنا على المنهج التحليلي النقدي القائم على تحليل أهم الافكار المرتبطة بالموضوع المعالج واستنطاق وتأويل أهم نصوص ميشال فوكو والدراسات النقدية المنجزة حول مكانة المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي في خطابه الفلسفي النقدي.

2. خصوصيات المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي ومكانته في فلسفة ميشال فوكو

وصف فوكو الأركيولوجيا بأنها "ممارسة لها أشكال التسلسل و التعاقب الخاصة بها"(Foucault,1969,pp220-221) حيث تتلخص في إعتبار " أن الأركيولوجي يرجع إلى التاريخ وكأنه مكتوب بلغة منسية مهجورة ليست لغته إنه يعلق على هذه العودة الفطرية التي توجد بين الباحث و موضوعه، و يقوض التيار التواصل الذي يسمح بالقول بالارتباط الثقافي بين المؤرخ و المؤرخ له"(ولد السيد،1994 ص98). كما يوضح فوكو نظريته أكثر حول الأركيولوجيا في حوار أجراه مع Raymond Bellour مصرحا بما يلي:

" لا أعني بالضبط بأن الأركيولوجيا هو علم، و لكنه ميدان بحث، ويتمثل فيما يلي: في المجتمع، المعارف، الأفكار الفلسفية، الآراء اليومية، ضف إلى ذلك أيضا

عمروش حكيم

المؤسسات التجارية، و إجراءات الشرطة، الأعراف، و الكل يحيل إلى معرفة ضمنية خاصة بهذا المجتمع" (Bellour,1978,p14)

فمن خلال التعريف الذي قدمه لنا ميشال فوكو تبدو لنا ملامح الحفر والنقد في منهجه جد واضحة. وذلك ما أكدته الباحثة "ماريتي أنجلا كريمر" (1927- Marietti Angele Kremer (2013 في تعريفها لهذا المنهج قائلة: " بأن الأركيولوجيا هي أكثر المناهج وضعية، كما هي تاريخية نقدية، ليس لأنها تحاكم الماضي و تحكم عليه، بل لأنها على العكس توجه النظر إليه و تمكن من رؤيته" (Marietti,1985,pp5-6) .

و الممارسة الأركيولوجية كمنهج، عبارة عن ترجمة و وصف أشكال ظهور الممارسات الخطابية و انبثاقها في كل حقبة زمنية معينة و الحديث عن أشكال ظهور الخطاب، ما هو إلا تعبيراً عن ذلك الهاجس الإبستمولوجي النقدي الذي تملك فوكو في غالبية أعماله.

و عليه "فتظل الأركيولوجيا منفردة ببحثها عن القواعد المحلية التي تحدد في حقب تاريخية محددة، هوية المنطوقات و دلالتها، و مرجع ذلك كون الأركيولوجيا لا تحلل أنساقاً عامة و إنما مجموعات خاصة و متناثرة من المنطوقات قد تم إنتاجها فعلاً" (الكردى، 1998، ص135).

أما فيما يخص البعد الجينيولوجي في منهج ميشال فوكو الجديد فإننا نلمس فيه مدى تأثيره بجينيولوجيا نيتشه، بحيث كان الدرس الأساسي الذي إستخلصه منها هو "ذلك الربط الموجود بين تاريخية المفاهيم وتاريخية العقل بتاريخ الجسد، أي الكشف عن الجذور المعيارية للمقولات العقلية، والدوافع النفعية والحيوية للمنطوقات حتى أكثرها إيغالاً في الصورية و التجريد" (ولد السيد، 1994، ص71).

فالجينيولوجيا هي بمثابة تأريخ للحقيقة، وهذا يعني أن التاريخ الذي يريد الجينيولوجي القيام به، يهدف إلى تبيان " أن الأحداث التاريخية، تجد تفسيرها

دور ومكانة المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي في فلسفة ميشال فوكو النقدية.

الحقيقي في تحديد طبيعة الحقيقة التي تشكل مادة التاريخ، ذلك أن الإنسان وهو يشتغل، ويتكلم ويحيا ويرغب، وهو بهذا يشكل تاريخه الخاص" (هوارى، 1998، ص17) وذلك ما يضيف بصمة نقدية للتاريخ الجينيولوجي، أين تبدأ حفرة الجينيولوجيا في الحدث الأركيولوجي، إذ تبدأ الأركيولوجيا في أخذ صبغة جينيولوجية، أو ما يمكن تسميته بالأركيولوجيا-الجينيولوجية.

"إن هذا الجمع بين الأركيولوجيا والجينيولوجيا هو ما يسميانه -دريفوس و رابينوف- بالتحليلية التفسيرية...ومن مهمات الجينيولوجيا أن تظهر الجسد غارقا مباشرة في الميدان السياسي، وأن علاقات السلطة تخترقه. وأن المعرفة متورطة في الصراع الدني لعلاقات الهيمنة، وهذه هي الموضوعات الكبرى -كالسلطة و الجسد- التي سيحللها فوكو بالإستناد إلى الجينيولوجيا، و بالتناوب مع الأركيولوجيا" (بغورة، 2000، ص114).

لكن ما جعل من فلسفة ميشال فوكو، فلسفة جينيولوجية، تهتم بالحاضر وتتسم بالجدة، يكمن في كونه عمل على إبراز أن كل قضية تشكل الحاضر، لا تكشف عن ملامحها إلا إذا تم التركيز على مسألة أساسية مفادها أن كل ممارسة ليست تطبيقا لمبدأ أو فكرة، لأن الممارسة هي هذا المبدأ، وهذه الفكرة وهذه الدعوة.

"لهذا عندما نفصل عادة بين الفكر والممارسة، فإن ما نقوم به هو الرفع من مكانة الوعي، والنظر إلى كل فعل كما لو كان نتيجة لعلّة، بينما العلة و المعلول شيء واحد" (هوارى، 1998، ص19).

فمن خلال هذه القراءة النقدية لتصور الجينيولوجيا والمكانة التي تحتلها في فلسفة فوكو، أصبح المنهج مكتملا ونكون قد تحصلنا على زوج مفاهيمي متكامل ومتسق، والمتمثل في الأركيولوجيا-الجينيولوجيا. L'archéologie-généalogie و هذا المنهج الجديد يسمح لنا بالكشف عن التمفصلات والتمثلات الخطابية لتركيبية العقل الغربي، "وهدفه الأساسي هو إختراق التاريخ الرسمي لمشروع الأنوار، من أجل

عمروش حكيم

إعادة الإتصال مع التاريخ الحقيقي "(بغورة، 2001، ص114) كما يقوم على تفكيك التاريخ الثقافي لمجتمع ما.

ان دور الأركيولوجي عند ميشال فوكو، يضاهي ذلك الوثائقي و المختص في عالم الأرشيف، إذ يقوم بنفض الغبار عن البنيات الفكرية السائدة في كل عصر، وهذا ما نلمسه في قوله بصريح العبارة في كتابه الخاص بالمنهج "أركيولوجيا المعرفة" قائلا: "بأن الأركيولوجيا تصف الخطابات كممارسات خاصة داخل الأرشيف، وهذا الأخير هو قانون ما يمكن أن يقال، هو ذلك النظام الذي يُسير ظهور الملفوظات كحوادث منفردة" (Foucault, 1969, p170).

فالأرشيف عند فوكو له دلالة جد عميقة، فهو يعبر عن إستنطاق البنى المعرفية الخاصة بكل مجتمع، ومحاولة توثيقها و أرشفتها محددا بذلك طبيعة الخطاب المهيمن في كل حقبة تاريخية.

كما يرى فوكو " أن الأرشيف لا يعني النصوص فقط "Textes"، و لا الوثائق "Documents"، و لكن جملة القواعد المحددة في ثقافة ما لظهور أو ضياع المنطوقات، فالمنطوقات هي الوحدات المركزية للأركيولوجيا، في صورتها المادية و الوضعية، لذلك فهي أحداث خطابية، و ليست وثائق لها معنى خفي أو قواعد بنائية إنها آثار ونصب "Monuments" بالمعنى الذي يعطيه جورج كانغليم لهذا اللفظ" (بغورة، 2000، ص114).

فعلينا الآن أن نفهم، كيف طرح فوكو مسألة علاقة الأرشيف بالتشكلات الخطابية ، و كيفية بروزها في إطار زمني و ثقافي معين، و اختفائها في حقبة زمنية لاحقة، و هنا يكمن سر المنهج و الممارسة الأركيولوجية، فكما هو معلوم لدى العام والخاص، فإن الأركيولوجيا هو ميدان و مجال علمي يختص بدراسة الحضارات الغابرة، من حيث آثارها و موروثها المادي و الثقافي معتمدا على طرق مختلفة في البحث عن أسرار هذه المجتمعات القديمة، مستخدما وسائل مادية بما فيها المعاول و آلات قياس أخرى، و

دور ومكانة المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي في فلسفة ميشال فوكو النقدية.

لكن الأمر مختلف عند أركيولوجيا فوكو فهو يستمد من هذه الأخيرة "طريقتها في الحفر و التنقيب عما بقي مطموسا من آثار قديمة، كما أن فوكو لا يستخدم المعاول و آلات القياس، بل يستخدم الكلمة La parole ليكشف عن طريقها أسرار أرشيف تأكلت كتبه و طمست حقائقه، لأن الأرشيف مجال موضوعي و لا شعوري في الوقت ذاته، يمكننا أن نصل إلى حقيقة البنية المتضمنة فيه بأقل الانحرافات المنهجية" (مهيبل، 2001، ص40).

3. علاقة الأرشيف بالتشكلات الخطابية

ان مسألة التشكلات الخطابية، يعود سر بروزها أو إختفائها إلى عنصر الأرشيف المهيمن في البنية التاريخية لثقافة معينة، و لكن هذا لا يكفي لكي نستوعب طبيعة الممارسات الخطابية، بل يستوجب علينا إستنطاقها واستقراؤها، و ذلك بالاعتماد على الحفر و التنقيب اللذان يستعملهما الأركيولوجي في مغامراته الإستكشافية، من أجل التعرف على التركيبة المعرفية لكل عصر، أو ما إصطلح عليه فوكو بإبستمية épistémè كل حقبة زمنية ويبدو لنا أن أعمق شرح و تحليل لأركيولوجيا و حفريات ميشال فوكو هو ذلك التعليق الذي أدلى به الفيلسوف "ميشال سيريس" (1930-2019) Michel Serres إذ قال بأنها: " نوع من إثنولوجيا المعرفة الأوروبية و هي إثنولوجيا تصف حالات نمط من العقل المتوحش، و تقدم نوعا من إستيتيقا جوانب الفكر المهمشة و المنسية داخل فضاء إشكالي: المعرفة و اللاعقل، الوعي و المغامرة، الذات و الموضوع...وهي نوع من الهيتولوجيا Hétérologie تكشف عن الإختلاف و المغايرة كأرضية أساسية و حالة جذرية لكل فرد بل لكل وجود" (ولد السيد، ص98).

و من هذا المنطلق، فإن أركيولوجيا فوكو ما هي إلا إحدى هذه الطرق والمناهج التي تسمح لنا بالوصول إلى الحقيقة، وكشف خبايا و خفايا الأرشيف وما يوجد وراء ستار الخطابات والمعارف الرسمية. لكن الأركيولوجيا بذاتها لا تستطيع الوصول إلى

عمروش حكيم

مبتغى الفعل الفلسفي، فلا بد أن تستجد بجينياالوجيا نيتشه -كما سبق أن ذكرنا ذلك- مستندة على ما يسميه فوكو بالابستمية " L'épistémè " التي يعرفها بأنها "مجموع العلاقات التي يمكننا الوقوف عليها في فترة ما، بين العلوم حينما نحلل مستوى ما كإنتظاماتها الخطابية"(Foucault,1969,p250).

أي أن الابستمية تعني تلك المقولات الموضوعية Catégories objectives التي تحدد طبيعة البنية المعرفية لكل عصر، بمعنى أن أي بنية فكرية لا توجد هكذا في العدم في صورة منفصلة عن باقي البنى الفكرية الأخرى، بل إنها توجد في اطار معين تحتك وتلتقي فيه مع بنى فكرية مختلفة، وهذا الاطار يدعى بالحقل الإستمولوجي، وهو تصور يلعب دورا جوهريا في إطار المنهج الأركيولوجي-الجينياالوجي العام الذي اتبعه ميشال فوكو في بحثه عن الحقب المعرفية و الحفر عن خفاياها، وبالتالي يمكن القول بأن مفهوم الابستمية أضفت بعدا نقديا وموضوعيا لطبيعة البنى المعرفية لكل حقبة زمنية ولكل عصر.

وبناء على هذا الطرح، تصبح الإستمية احدى الوحدات الأساسية في المنهج الأركيولوجي-الجينياالوجي الذي ابتكره فوكو، بعدما كان الأرشيف هو كذلك الدليل الشرعي في التعرف على الأرضية المعرفية لثقافة أي مجتمع والتنقيب فيها، وهذا المنحى تصبح معرفة البنى هي معرفة ما يدير أفكارنا وأعمالنا. فلم تعد مهمة الأبحاث لتكمن في أن نجد مجددا المعرفة التي يضمها أرشيف عصر من العصور، وإنما تكمن في صياغة المعاينة التي توجهنا بشكل سري. لكن هل تكفي معرفة ما هو نظام حياتنا لننحرر منه؟ هكذا تصبح "الإستمية مزيجا ملتبسا ومتفجرا من البنى التحتية و من اللاوعي المتسامي مما يمسك بها الأركيولوجي من طرف اليد"(غرو،2008،ص62).

إن عمل الأركيولوجي يهدف إلى معالجة أرشيف كل حقبة زمنية، و كل عصر وذلك من أجل التعرف على المجال الإستمولوجي والمعرفي الذي يحكم ويسير حياة

دور ومكانة المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي في فلسفة ميشال فوكو النقدية.

المجتمعات. كما "أن الممارسة الأركيولوجية تعمل على كشف عدة مناطق، أولها منطقة اللغة بطرحها السؤال التالي: من يتكلم؟ بمعنى من هو المؤسس لتلفظ الخطاب"(الداوي، 1992، ص144).

وبالتالي تصبح الممارسة الخطابية، إحدى المسلمات إن صح التعبير، التي تؤسس وتهيكل الكيفيات التي يعمل بها الخطاب في حقبة تاريخية معينة، وعليه فمجال اللغة و مجمل المنطوقات énoncés في نظر فوكو هي معطيات جد حساسة، بل في بعض الأحيان هي المحدد الرئيسي لطبيعة بنية الخطاب، وذلك بالإستناد إلى إستسمية العصر التي تمثل الخلفية التي تكمن وراء المعرفة في عصر معين، وعليه فهي تعبر عن بنيته التحتية التي تحدد أشكال معارفه، "وهي تتشكل حسب فوكو من شبكة مفهومية تؤسس ما يسميه بالأوليات التاريخية L'a priori historique أو الشروط القبلية لإمكانية ظهور المعارف في مرحلة تاريخية معينة، بأن تقتطع من مجموع التجارب حقل تنشأ فيه معرفة ممكنة، وتحدد الشروط التي بمقتضاها يعترف لخطاب ما عن الأشياء بأنه يقول الحقيقة"(Marietti,1985,p32).

4. دور المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي في تكريس البعد النقدي في فلسفة فوكو

إن مهمة المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي، هي كمهمة الفلسفة، لا تنحصر في مجال أو موضوع بعينه، بل تتفرع إلى معظم مجالات و حقول المعرفة، و في هذا الصدد يتساءل ميشال فوكو: "ما هي إذن الفلسفة اليوم، وأعني النشاط الفلسفي، إذا لم يكن العمل النقدي للفكر بالفكر؟ و إذا لم ترتكز على عملية معرفية كيف يمكن أن نفكر بوجه آخر و إلى أي حد عوض أن نشرع ما نعرفه و نبرره؟"(بغورة، 2001، ص93).

وعليه المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي بإعتباره منهجا جديدا للتحليل والتفكيك، هو نوع من هدم الميتافيزيقا ليفصح عن قوة التأكيد والإثبات حسب عبارة فتحي التريكي وذلك ما سماه بالفلسفة الشريدة (أو الفلسفة المفتوحة)، فالمنهج الأركيولوجي-

عمروش حكيم

الجينبولوجي لا يقول للناس ماذا يجب فعله، لأنه يتخلى عن مشروع العقلانية و مشروع الحداثة الغربية، فهو بمثابة خطاب فلسفي يخترق ويتجاوز جدران الفكر الغربي و هويته الحقيقية، ليعيد إستنطاق وإعادة قراءة ذلك التاريخ الرسمي للمجتمع الغربي وثقافته.

فمن خلال هذا الطرح، نلمس كيف أسهم المنهج الأركيولوجي-الجينبولوجي في تكريس البعد النقدي في فلسفة ميشال فوكو، وفي هذا السياق عرج الفيلسوف الفرنسي فرانسوا فال (François Wahl (1925-2014 على ذلك البعد النقدي للمنهج الأركيولوجي لدى فوكو قائلا : "بأن الأركيولوجيا ما هي إلا تفكيك لتاريخ الفلسفة" (Wahl,1989,p96) والحديث عن التفكيك هو اشارة إلى أحد خصوصيات الفلسفة النقدية التي تحاول بجدارة التفكير في المنسي و المقصى و اللامفكر فيه.

"كما أن التفكيك من حيث هو عملية تفتيتية لكل خطاب جاهز، أي لكل خطاب قد تشكل، وفقا لآليات و طقوس دلالية، و لصيغ قراءة مترسبة عبر التاريخ في صورة قواعد و أصول و نظم مقننة أو مودعة فيما يشبه المراسيم المتوارثة التي لا يجوز إختراقها أو الخروج عليها، هو ضرب من الممارسة الظاهرية التي تنصب عملياتها على السطح الخارجي لعلامات الخطاب" (الكردى، 1998، ص156).

و تعود جذور المنهج الأركيولوجي-الجينبولوجي كممارسة أنطولوجية ونقدية للحاضر في نظر فوكو، إلى الفيلسوف النقدي الألماني إمانويل كانط (E. Kant 1724-1804) الذي طرح لأول مرة "سؤال الحاضر واللحظة الراهنة: ماذا يجري اليوم؟ ما هي اللحظة الحالية التي نعيشها" (Fimiani,1998,p19) و هو تساؤل مرتبط بشديد الإرتباط بفعل النقد في ميدان الفلسفة للحداثة الغربية، إذ يعترف فوكو أن هذا النوع المتميز من الفلسفة الممتدة من هيجل إلى مدرسة فرانكفورت النقدية مروا بنيتشه و ماكس فيبر، هو الذي أسس منهجا تندرج في ضمنه أعماله النقدية .

دور ومكانة المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي في فلسفة ميشال فوكو النقدية.

ان الهاجس الرئيسي الذي هيمن على إهتمام فوكو في حفرياته للمعرفة الغربية هو البحث عن فكرة "النظام" L'ordre الذي يرتب عناصر بنية معرفية ما ، إذ يقول في هذا الصدد : " أن النظام هو في أن واحد ما يتبدى في الأشياء بوصفه قانونها الداخلي و الشبكة السرية التي ينظر من خلالها بمعنى ما بعض هذه الأشياء البعض الآخر، و ما لا يوجد عبر شبكة نظرة أو إنتباه أو لغة، و في الخانات البيضاء من هذه المربعات فقط يظهر النظام في العمق كأمر كان هناك أصلا، منتظرا بصمت لحظة الإعلان عنه"(Foucault,1996,p11). بمعنى أن غاية ودور المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي (الحفري) ، هو العثور على طبيعة التركيبة النسقية لثقافة ما في جميع مكوناتها، بما فيها اللغة، العلم، المجتمع و النظام المعرفي L'ordre cognitif الذي يسيطر على جوهرها.

كما أن المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي، يريد أن يكون خطابا حرا بدون حدود وقيود، مفتتا من لعبة التكوين والنسقية، والخروج من متاهة وقبضة الخطاب الأكاديمي الذي يملي لنا القواعد و القوانين التي يجب على أي باحث التحلي بها واحترامها، فهو نوع من الطقوس البيداغوجية التي أراد فوكو فضحها والإفصاح عنها، وقد أشار إلى ذلك في خطابه الافتتاحي الذي ألقاه في "الكوليج دو فرانس" Collège de France في الثاني من ديسمبر 1970 قائلا: " بأن كل منظومة تربوية هي عبارة عن طريقة سياسية في التحكم أو تعديل تناسب الخطابات، مع المعارف و السلطات التي تنقلها معها"(Foucault,1971,p46) ورأى في ذلك نوعا من التحكم والسيطرة على الذات المفكرة، فيجب على هذه الأخيرة الرضوخ والخضوع لما يمليه الخطاب السياسي الرسمي من أهداف مسطرة من قبل المؤسسة المنتجة للخطاب الرسمي، و ذلك ما لا يتماشى مع قناعات ميشال فوكو الفلسفية، فلا بد من التفكير في اللامفكر فيه وإزاحة الغبار على المسائل المنسية والمهمشة، لكي تكون قضايا على مسامع جميع فئات المجتمع دون إستثناء، وفي هذا

عمروش حكيم

السياق قال المفكر الأمريكي الشهير المختص في علم اللسانيات نعيم شومسكي Noam Chomsky في أواخر الستينات في خطاب حول مسؤولية المثقفين : "إن مسؤولية المثقفين أن يقولوا الحقيقة و يفضحوا الأكاذيب. وقد يبدو هذا على الأقل أمرا بديهيا لا يحتاج إلى تعليق، غير أن هذا ليس صحيحا فالواقع أن ما إعتبرناه ليس بديهيا واضحا على الإطلاق بالنسبة للمثقف الحديث. وها هو مارتن هيدجر يكتب قائلا: بأن الحقيقة هي كشف ما يمنح شعبا ما الثقة والوضوح و القوة في العمل و المعرفة إن هذا النمط من الحقيقة هو وحده الذي تقع على المرء -حسب هيدجر- مسؤولية قوله"(شومسكي، 1993، ص ص58-59).

5. خاتمة

بناء على ما سبق يمكننا القول أن للمنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي مكانة ودور محوري في فلسفة ميشال فوكو النقدية، منهج مرتكز و مبني على عقلانية جديدة قائمة على تحليل علاقات المعرفة والسلطة في المجتمع الحديث، وهو بذلك يُعد أحد أشكال العقلانية ومن أهم مكوناتها، نستطيع ذكر جينيولوجيا نيتشه، وجودية هيدجر، وإبستمولوجيا باشلار، إضافة إلى ذلك مجمل عناصر الثورة المعرفية الإبيستمولوجية التي حدثت في مجال العلوم الطبيعية والإنسانية، كما تعمل أيضا على عقلنة النزعات العدمية، إذ تمنحها منطوقها العقلاني.

"فالحديث الأركيولوجي الذي يحفر عنه الجينيولوجي، لا يتم الكشف عنه، بهدف إبراز أهميته، إلا إنطلاقا من طرح إشكالي يجعل الفيلسوف- المؤرخ يركّز، في تأريخه للحقيقة، على بيان شروط ظهور الحدث"(هوارى، 1998، ص ص21-22).

إن أركيولوجيا فوكو التي نحن بصدد معالجتها، تسمح لنا بتحليل الظواهر التاريخية والإشكاليات الفلسفية بطريقة تحليلية-نقدية ذات طابع موضوعي بفضلهما نستطيع أن نتجاوز ونخترق كل الأفكار المقصية والممنوع التفكير فيها، فهو منهج ثاقب ناقد، حيث تعمل كل من "الجينيولوجيا والأركيولوجيا على إبراز نوع آخر من

دور ومكانة المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي في فلسفة ميشال فوكو النقدية.

الأحداث، و هي الأحداث الصغيرة و التافهة التي تمر بدون أن تحدث ضجيجا و لا ضوضاء لأنها لا تتشكل من وقائع، و لكن من علاقات، تنشأ من نقط متشتتة، و متباينة ومتباعدة، و بالتالي لا تقدم نفسها على أنها أحداث حاضرة يمكن للجميع أن يتعرف عليها بإرادته الحسنة"(هوارى،1998،ص21)

فمن هذا المنطلق "فأركيولوجيا فوكو، هي ذلك الميدان العلمي الذي يتنصت بإنتباه للنصب التي يعتبرها صامته"(دريفوس و رابينوف،د.ت،ص82) فهي تعمل على إخراج الصامت والمحجوب إلى العلن، لكي يصبح أمرا وقضية يمكننا التفكير فيها.

أما إذاعدنا إلى علاقة الأركيولوجيا بالجينيولوجيا، نجد أن هذه الأخيرة تضيف للأركيولوجيا مسائل المعنى، وذلك بالإستناد إلى مفهوم القوة أو كما يقول "مطاع صفدي" أن الجينيولوجيا النيتشوية تعمل على إعادة بحث عما يشكل المعنى ويبني القيمة في كل شيء وكل علاقة، فكشف القوة بإعتبارها هي الحامل الحقيقي للمعنى. وعليه "فإن علاقة الأركيولوجيا بالجينيولوجيا، وإن بدت تكاملية، فإن الجينيولوجيا ما فتئت تبتعد عن الأركيولوجيا، وتناقش موضوعات السلطة والذات في المجتمع الحديث، وتقيم ما يسميه فوكو لاحقا بتاريخ الحاضر L'histoire du présent، و رغم أن فوكو يعلن أن مشاريعه المستقبلية سيتقاسمها المنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي، إلا أن المتفحص، يستنتج أن الأركيولوجيا تنتهي أكثر إلى مرحلة الممارسات غير الخطابية والمتمثلة في مرحلة الجنون والعقل والطب واللغة، أكثر منها إلى مرحلة الممارسات الغير الخطابية الخاصة بالسلطة والجسد والتي ستعالجها الجينيولوجيا"(بغورة،2000،ص131).

فمنهج ميشال فوكو إذن في الحقيقة هو مزيج ما بين منهجين مختلفين في بينهما، ولكن هذا لا يمنعنا من تسميته بالمنهج الأركيولوجي-الجينيولوجي على حد تعبير "بيير بلوي" Pierre Billouet في مؤلفه حول فوكو فبعد أن أعاد فوكو النظر في أعماله من وجهة نظر نقدية، توصل إلى تفسير أن الأركيولوجيا عبارة عن محطة

عمروش حكيم

جينياالوجية تنتهي إلى نفس المركز النقدي، وعلى الأركيولوجيا أن تحلل الإختلافات وليس إختراعها أو تجاوزها لها (أي الاختلافات).

فقد كانت أركيولوجيا فوكو تدعو إلى دراسة أرشيف كل عصر، وذلك من أجل الكشف عن المجال الإبستمولوجي الذي يكمن خلف كل بنية فكرية لحقبة زمنية معينة. وعليه "فبإمكاننا أن نعتبر بدون أي شك، أن أركيولوجيا فوكو هي بمثابة أركيولوجيا جديدة أي طريقة فلسفية جديدة" (Qizhi,1999,p228).

إن مسعى ميشال فوكو وراء هذا التجديد المنهجي و الفكري، هو مسعى ذو بعد فلسفي نقدي تجاوزي، يبحث في كيفية إيجاد القطيعة مع تلك الأنساق الفلسفية الكلاسيكية العقيمة. وبالأخص تلك الفلسفات البعيدة عن مجال العلم. فهندسة خطابه مبنية على منظومة معرفية إبستمية، يدعو إلى تجاوز و إعادة تأويل و تفكيك الفكر الغربي برمته. كما حرص فوكو على تبيان وحفر تلك الآلة والمؤسسة المفاهيمية التي تدعى الإطلاقية في قضاياها المعرفية والمنهجية. "فلا يمكن الحديث عن عصا سحرية تجبر الجميع بأن يفكروا بالآليات والمناهج والأفكار والمفاهيم ذاتها كما يبين أيضا كيف أن المفاهيم و التصورات هي لعبة في شباك علاقات متقابلة ومتضاربة، وكيف أن استعمالها و توظيفها لا يخلو من إجراءات تسلطية وتمويهات وتحويرات ومخادعات لا تنضب. فحسب الفيلسوف أندري غلوكسمان (1937-2015) André Gluksmann محاولات فوكو ترمي إلى إعادة تأويل الفكر الغربي و الفكر العدمي على حد سواء من خلال نسبية القيم كشرط أساسي للعمل الأخلاقي" (محمد شوقي، 2002، ص 126-127)، وذلك شريطة تتبع الأركيولوجيا والجينياالوجيا كدليل منهجي يوصلنا إلى تأصيل و وضع أسس ومبادئ فكر الإختلاف La pensée de la différence كخطوة أولى لتجاوز عقبات الفكر التوتاليتاري، وجعل الفلسفة تشخيصا نقديا للحاضر.

5. قائمة المراجع:

- أوبريت ،دريفوس و بول، رابنوف.(د.ت)،ميشال فوكو، *مسيرة فلسفية*، تر، جورج أبي صالح، و مراجعة و شروحات، مطاع صفدي، منشورات مركز الإنماء القومي، لبنان.
- الزواوي، بغورة.(2000)، *مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو*، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1.
- الزواوي، بغورة.(2001)، *ميشال فوكو في الفكر العربي المعاصر*، دار الطليعة، بيروت، ط 1.
- فريدريك، غزو،(2008)، *ميشال فوكو*، تر، محمد وطفة، مجد المؤسسة الجامعية، بيروت، ط 1.
- ولد السيد، اباه،(1994)، *التاريخ و الحقيقة لدى ميشال فوكو*، دارالمنتخب العربي للدراسات، بيروت، ط 1.
- محمد علي، الكردي،(1998)، *من الوجودية إلى التفكيكية: دراسات في الفكر الفلسفي المعاصر*، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية،
- محمد شوقي، الزين.(2002). *تأويلات و تفكيكات: فصول في الفكر الغربي المعاصر*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1
- عمر، مهيبيل.(2001)، *من النسق إلى الذات، قراءات في الفكر الغربي المعاصر*، منشورات الاختلاف، ط 1.
- عبد الرزاق، الداوي.(1992)، *موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر*: هيدجر، ليفي ستراوس، فوكو، دار النشر، بيروت، ط 1.
- إدريس، هواري.(1998)، *جينياالوجيا الحقيقة عند ميشال فوكو*، مجلة، فكر و نقد، العدد 13.
- نعوم، شومسكي.(1993)، *مسؤولية المثقفين*، الآداب.6.

Angele Kremer ,Marietti,(1985), *Michel Foucault : Archéologie et généalogie*, éd,librairie générale française, Paris.

Fimiani ,Maria Paola.(1998), *Foucault et Kant : Critique-Clinique-ethique*, traduit de l'italien par : Nadine le lirzin, éd, l'harmattan, Paris.

François, Wahl,(1989) *Hors ou dans la philosophie* , in, Foucault philosophe, éd, seuil,Paris,

Michel, Foucault, (1969), *L'archéologie du savoir*, éd, Gallimard, Paris.

Michel, Foucault.(1971), *l'ordre du discours*, éd, Gallimard, paris.

Michel, Foucault.(1966) *Les mots et les choses*, éd, Gallimard, Paris.

Mohamed Chaouki, zine,(2002) *Identités et Altérités : réflexions sur l'identités au pluriel*, éd, el-IKHtilef.

Pierre Billouet,(1999), *Foucault*.

Raymond, Bellour,(1978), *le livre des autres : entretiens*, union générale d'éditions, Paris

Qizhi, yu.(1999), *L'archéologie habituelle et l'archéologie foucaldienne* , *Revue philosophique de la France et de l'étranger*,P.U.F,(N°2, avril – juin).